وينتقل إلى جوار ربّه نبيّ أنفق حياته مجاهداً ليخلق أمّة ويطلق في الأرض رسالة. فتسري البلبلة بين تبّاعه وأنصاره. ويفرح أضداده قائلين: «لقد مات النبيّ. وبموته ستموت أمّته وتندثر رسالته». ولكن الزمان الساحر يأتي الأمّة والرسالة بإكسير الحياة على يد رجال ونساء كثيرين وفي ظروف ما كان النبيّ ولا تبّاعه يحلمون بها. فيمتدّ ظلّ الأمّة في الأرض وتنتشر الرسالة بين الأمم. فيقول الناس: إنّه الزمان حلاّل المشاكل.

وتبلغ دولة أوج عزّها. فكلمتها بتّارة، وسيفها قهّار، وإرادتها من فولاذ. وتسوّل لها كبرياؤها إذلال جيرانها وإخضاعهم لسلطانها. فلا تشكّ ولا جيرانها يشكّون في أنّها ستنال ما تريد. ولكن الزمان يخوض الحرب ضدّها، فيردّها منكّسة الأعلام، ممزّقة الصفوف إلى ديارٍ مهشّمة وأرض معقمة. فيقول الناس: إنّه الزمان حلاّل المشاكل.

مَن مِن الناس لا يذكر في حياته وحياة غيره مشاكل بدت في وقتها أصعب حلًّا من تسبيع الدائرة؟ فلا العقل بناجع، ولا السحر بمجدٍ، ولا الصوم والصلاة بكاشفين ولو جانباً من القناع. فكأنّ تلك المشاكل الجبال الراسية لا تدكّها العواصف، ولا تزعزعها الزلازل، ولا تقتحمها